تمـاما، تضعها احيانا حتى خارج نطاق اي تأثير ايجابي على مسارات تلك القضية، وتسبب للجميع ضررا هم في غنى عنه.

ان من يزعم العمل «استراتيجيا» في سبيل القضية الفلسطينية يفترض فيه اولا ان يحظى، على الاقل، بثقة ومن ثم تعاون اصحاب القضية انفسهم، اي الفلسطينيين قبل غيرهم، ممثلين بحركتهم الوطنية. والحركة الوطنية الفلسطينية تقودها الآن، أن شئنا ام ابينا، حركة «فتح»، بعجرها وبجرها. وكان الاجدر بالسوريين، «استراتيجياً»، بالطبع ـ الكل «استراتيجيا» ـ التفاهم والتعاون مع هذه الحركة، بصورة او باخرى. غير انهم، بدلا من ذلك، انتهجوا سياسة مختلفة تهدف الى استيعاب تلك الحركة او السيطرة عليها او التقليل من شأنها، بخلق منظمات موازية لهـا، فاستفزوا تدريجيا عناصرها قبل قياداتها، وابعدوها عنهم. وكلمة حق لا بد ان تقال هنا لصالح السوريين، وهي ان التعامل مع «فتح» ليس سهلا ابدا، بل هو، على العكس من ذلك، متعب ومثير للاعصاب. ان بعض «أبوات» فتح، وخصوصا «فروخ الأبوات»، اي الناشئين منهم، خبراء في التكتيـك، التكتيك لا الاستراتيجية، يصعب طورا التعامل معهم، وتارة لا يطاقون؛ يبيعون احيانا، على حد قول المثل الشعبي، «اللحف، وهم بردانون»، وبعضهم لا يزال يتصرف كأنه عضو في اتحاد طلبة فلسطين، ومنهم آخرون يثيرون القلاقل والمتاعب، وان وصلت احيانا الى اتفاق معهم فسرّوه ونفّذوه وفق مفاهيم خاصة بهم. غير ان حزب البعث ايضا لا يختلف كثيرا عن «فتح» في هذا الصدد؛ فلا هذا احسن من ذاك، ولا ذاك اسوأ من هذا ـ فهذه العصا من تلك العصية.. ويبدو كأن «فتح» ليس الا حزب بعث بالمقلوب؛ فهي تتحدث يمينا وتمارس يسارا، فيما يفعل هو العكس. ويقينا لو ان نظام بعث دمشق تحلى بالصبر قليلا، مع شيء من طول الاناة وسعة الصدر لامكنـه بسهـولة نسبيـة استيعـاب «فتـح» وكـل من لف لفها، والتي ليس من الصعب ابدا استرضاؤها، ولأبقاها تحت كنفه وتعاون معها في مجالات عدة لمصلحة القضية القومية عموما؛ ولما وصلت الامور الى ما وصلت اليه.

وعلى الرغم من ذلك، يمكن ايضا ان نكابر ونغض الطرف و «نبلع» هذا الموقف من «فتح». ولكن هذه «المعـاملة» تنـطبق ايضـا على موقف النـظام البعثـو ـ سوري من منظمة التحرير الفلسطينية، مع نتائج اكثر خطورة، بل تبدو احيانا مخيفة فعلا في مدى الضرر الذي قد ينجم عنها للقضية الفلسطينية، والذي قد يكون مميتا؛ وهو ما لا يمكن، ولا يجوز، السكوت عنه بأي حال من الاحوال. ان سوريا، على حد تعبير احدهم، وهو يقول ما يقوله محاولا تلطيف وقعه على الآخرين، ليست «مع» منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للفلسطينيين، وليست ايضا «مع» الدولة الفلسطينية المستقلة. ويقال، ايضا، ان احد وجوه النظام السوري، وهو المدعو عبد الحليم خدام (الذي سبقنا احدهم في الفضل فوصفه بانه بذيء اللسان وطويله) على استعداد دائما لان «يفقع» محاضرة، لكل من يجره حظه العاثر ويجبره على الاستماع، حول «بدعة» (كذا!) الممثل الشرعي الوحيد. ويقال، ايضا، ان نزعات امبراطورية نمت في نفسية سادة النظام في دمشق فجعلتهم يعتبرون انفسهم الممثل الشرعي الوحيد... للفلسطينيين، وغيرهم ايضا. وايا كان مدى ايمان اصحاب هذه البدع ببدعهم، او عمق المشاعر الامبراطورية لدى بعضهم، من الواضح ان النظام السوري الحالي ناصب منظمة التحرير الفلسطينية، بصفتها هذه، العداء منذ استولت الحركة التصحيحية على الحكم في دمشق سنة ١٩٧١. والامثلة على ذلك كثيرة. فبعد ان تمكنت هذه الحركة من تثبيت نفسها في الحكم في سوريا بفترة قصيرة، اضطرت القيادة الفلسطينية،